آفاق



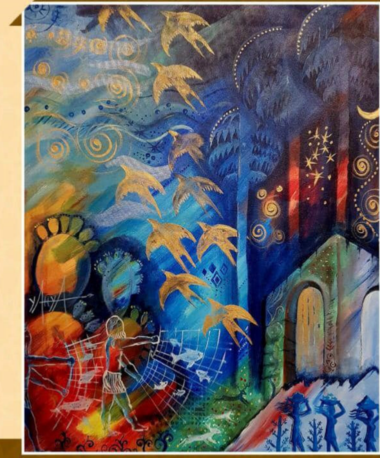
ملحق العدد 57 يوم الاثنين 1 ربيع الآخر 1445هـ الموافق 16 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م

جريدة إلكترونية شهرية ثقافية منوعة تصدر عن مؤسسة البيان للعلوم والمعرفة

قراءة في رواية: "حقيبة من غمام" للأديب محمد عبد السّلام كريم؛ 2023، بقلم: رفيقة عثمان

صدرت رواية "حقيبة من غمام" للرّوائي الفلسطيني محمد عبدالسّلام كريم، احتوت الرّواية على ثلاث مئة وثلاث صفحات، من القطع المتوسّط، عن دار الأقصى للدّراسات والنّشر في العاصمة السّوريّة دمشق، خريف 2023؛ ورسم صورة الغلاف م الفنّان الفلسطيني يحيى الرّشماوي، صمّمها وأخرجها علي عبدالكريم الطيّب.

نسج الكاتب روايته، حول الصّراعات الّتي واجهها المُهاجرون أثناء هجرتهم من "مخيّم اليرموك" في سوريا؛ هربًا من الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة السيئة، الناجمة عن الحرب والخلافات الحزبيّة والطّائفيّة.



رواية

حقيبة من غمام

محمد عبد السلام كريم

عندما تذوي الأحلام لتغدو أضيق من سعة زجاجة، تصبح الخيارات، كل الخيارات، معلّبة، ويغدو الطريق إليها مفروشاً بباقي الزجاج المكسّر، الذي يغطي درب حفاة.

يدفعك الأمل، وربّما الحمق، باتجاه مقبرةٍ بحجم المتوسط، بحثاً عن الأمان عبر متاهة الخوف والتعب والقلق.

ترهن روحك ومستقبلك وحياتك كلّها، بحثاً عن يابسة قد تصل إليها... وقد لا تصل.

اختار الكاتب شخصيّة الرّاوي، شخصيّة البطلة امرأة؛ لسرد الأحداث على لسانه بصوت ضمير الأنا. برأيي نادرًا ما يختار الأدباء الذكور، للرّاوي السّارد بشخصيّة الأنثى.

يُعتبر اختيار الأديب لشخصيّة الأنثى البطلة، اختيارًا جريئًا إلى حدّ ما، وذلك تبعًا للاعتقاد السّائد بأنّه لا يُعبّر عن المرأة إلّا المرأة نفسها؛ ولكن نجح الكاتب في تصوير الأحداث الدراميّة الدّائرة داخل السّفينة على لسان المرأة. صوّر الكاتب أدق التّفاصيل والمشاعر المختلجة في نفوس المُسافرين من وجهة نظر نسويّة.

كشف الرّوائي بعض مواصفات الرّجال، مثل خجل الرّجال عامّةً، وتجنّبهم البكاء، فهم

ملحق العدد 57 يوم الاثنين 1 ربيع الآخر 1445هـ الموافق 16 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م

جريدة إلكترونية شهرية ثقافية منوعة تصدر عن مؤسسة البيان للعلوم والمعرفة

قراءة في رواية: "حقيبة من غمام" للأديب محمد عبد السّلام كريم؛ 2023، بقلم: رفيقة عثمان

مكاربون ولا يسمحون لأنفسهم التنفيس عن ذاتهم، والتعبير عن حزنهم بالبكاء؛ للحفاظ على رجولتهم وخشونتهم.

سيطر الرّوائي على أبطال شخوص الرّواية، ابتداءً من شخصيّة المرأة الفلسطينيّة المُهاجرة برفقة ولدي أختيها: أحمد ومعتصم، الشّخصيّتان المحوريّتان أيضًا في الرّواية؛ حيث هاجرت المرأة بدون صحبة زوجها الّذي مكث في استنبول، على أمل ان تنجح زوجته في لم شمله بعد وصولها واستقرارها في إيطاليا.

ذكّرتني هذه الرّواية "بفلم التايتنك"، فِلم الكوارث والرّومانسي الملحمي الأمريكي؛ لكن هذه الرّواية بعيدة كل البعد عن تصوير الحياة الرّومانسيّة. رواية "حقيبة من غمام" صوّرت ملحمة المُهاجرين الفارّين من بلادهم، بحثًا عن حياة أفضل في تركيا ومن ثمّ أوروبا وبالأخص في إيطاليا، ووصف المعاناة والرّحلة المحفوفة بالمخاطر داخل سفينة الأوجاع كما أطلقت عليها الرّاوية أثناء سرد الرّاوية.

أبدع الكاتب في وصف المعاناة والمآسي التي عاشها المُهاجرون على متن السّفينة، من تصوير الرّعب الّذي داهم قلوب المهاجرين جرّاء الاكتظاظ وزيادة عدد المُهاجرين، ومواجهة العواصف والامطار، والجوع، والعطش؛ بالإضافة لتعرّض السّفينة للغرق، نتيجة العواصف القويّة، كل ذلك أدّى لفقدان الأمل بالنّجاة والوصول إلى شاطئ الأمان.

كل تلك الأحداث أتاحت الفرصة للتعبير عن المشاعر والعاطفة الحزينة والجيّاشة، والخوف والقلق، وفقدان الأمل واليأس من الحياة، والنّدم أحيانًا على قرار الهجرة؛ كل الأحداث المُتلاحقة داخل السّفينة، تضع القارئ في حالة قلق وترقّب؛ لمعرفة المرحلة التّالية من الأحداث الدرامية الجاريّة أثناء رحلة الموت نحو المجهول.

أبرز الكاتب قضيّة الصّراع الذّاتي، والّذي تجلّى، من خلال بطلة سرد الرّاوية، ووصف ما كان يدور من حولها بدقّة متناهية؛ تمثّل ذلك الصّراع في وصف الرّاوية لدقّات القلب ونبضاته المُتسارعة، والشّعور بالبرد القارس والجوع، والعطش، والغثيان، والخوف من خديعة قبطان السّفينة والمُهرّبين، وهبوب العاصف، وسقوط المطر والتسبّب بضرر المسافرين، وتبلّلهم، وشح ماء الشّرب، وانتشار الروائح الكريهة؛ والكثير من المشاعر السيّئة، والمُخيفة، وتخيّل الموت في كلّ لحظة. ظهر الصّراع الخارجي، كما صوّرته الرّاوية، من صراعات بين المُهاجرين أنفسهم.

المخاوف والقلق الّذي احتل قلب الرّاوية، وقلب جميع ركّاب سفينة الموت الذين تشكّلوا من فئات اجتماعيّة مختلفة مثل: فلسطينيين، وسوريين، وأفارقة، وشعوب أخرى ضاقت بهم الحياة في بلادهم، وفضّلوا البحث عن حياة أخرى أفضل في بلاد أخرى تحترم إنسانيّتهم وتمنحهم حقوقهم المتساوية، والعيش في سلام واطمئنان.

وصف الكاتب صورة المُهاجرين بالصّامتين والمُستسلمين لقَدَرِهم، خلال فترة وجودهم في عباب البحر. مرّت السّفينة بعقبات عديدة هدّدت عبورها بسلام إلى بر الأمان. ، خلال مدّة طويلة من الزّمن، تقارب الأسبوع.

ممّا سبق نلاحظ بأنّ الكاتب اعتمد اسلوب السّرد غير الموضوعي، باختيار شخصيّة الرّاوية، مستخدمًا أسلوب الحوار الذّاتي – المونولج – في معظم أحداث الرّواية.

قراءة في رواية: "حقيبة من غمام" للأديب محمد عبد السّلام كريم؛ 2023، بقلم: رفيقة عثمان

امتازت لغة الرّواية بالبساطة وجمال التّعبير، والسّلاسة والعفويّة أحيانًا.

أوقفتني تساؤلات أثارت دهشتي، لماذا افتقدت الرّواية للتنقيح اللّغوي، ومن الأخطاء النّحويّة والإملائية، وبعض الأخطاء المطبعيّة.

أوصي وبشدّة الاهتمام بالأمر قدر الإمكان، وإخراج الرّواية على أكمل وجه، خاصّةً عند إعادة نشرها ثانيةً.

أحمّل المسؤوليّة الكبرى عن هذا التّقصير، وألقيه على عاتق دار النّشر والطّباعة، والتي تولّت طباعة ونشر الرّواية.

يظهر زمن حدوث الرّواية عام 2014، من خلال السّرد، عندما ذكر بأنّ موعد العاصفة المُتوقّعة هو 2014.12.28؛ لكن من المعروف "بأنّ معارك اليرموك ابتدأت في 5 ديسمبر 2012، واستمرّت لغاية 17 ديسمبر، وشارك في القتال بشكل رئيسي الجيش السّوري الحر إلى جانب لواء العاصفة) في مواجهة الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين. (ويكيبيديا: موقع إلكتروني).

وصف الكاتب المكان (دمشق ومخيّم اليرموك) كموقع هام للفلسطينيين قائلًا: "مخيّم اليرموك لم يكن حيًّا أو مدينة، أو مكان سكن وحسب، بل كان أكبر من ذلك بكثير، لقد كان قلبًا نابضًا لكل فلسطيني يقيم في سوريا، كان عاصمة الشّتات الفلسطيني، الجامعة الجامعة، وكان حصن الأبطال اللّذين رفدوا الثّورة الفلسطينيّة من نشأتها".

"حقيبة من غمام" اختار الكاتب هذا العنوان لروايته الذي يحمل في ثناياه الرّمزيّة، نحو ضبابيّة وغموض الهجرة والسّفر نحو المجهول. برأيي وُفق الرّوائي في اختيار العنوان.

تُعتبر هذه الرّواية ملحمة دراميّة، واقعيّة مُطعّمة بالخيال؛ وهي تصوير للواقع المرير الّذي نحياه يوميًّا، ونسمع أخبار المُهاجرين والهاربين من بلادهم، عبر البحار، ويصارعون الموت، وتجذفهم الأمواج، أو تأكلهم الحيتان؛ تاركين خلفهم الحسرة والألم لعائلاتهم وأحبابهم.

"ليس كل ما يلمع ذهب"، من ملاحظاتي أثناء سفرياتي وجولاتي في بقاع العالم، أستاء جدًا من أوضاع المهاجرين واللّاجئين في أوروبا وتركيا؛ ممّا تسبّب في ارتفاع أعداد المُتسوّلين بالشّوارع، والمجرمين، والنشّالين، للأسف توصف أوضاعهم بالمأساويّة، فهم يعتاشون على الهامش، لا مأوى مناسب لهم، ونسبة البطالة عالية جدًا، ولا حقوق لهم؛ وغالبًا غير مرغوب بهم، ويتصدّى لهم أصحاب البلاد، خوفًا على أعمالهم وأرزاقهم. في أغلب الأحيان يوضع اللّاجئون في مراكز اللّجوء، وتحديد إقامتهم.

كات نهاية الرّواية مفرحة؛ نظرًا لوصول المهاجرين لهدفهم، ووصولهم إلى إيطاليا، بعد رحلة عذاب شاقّة.

هذه الرّواية تستحق القراءة، فهي تحمل رسائل هامّة، وتحذّر من مخاطر الهجرة، وفقدان الوطن، فهي دعوة للتّمسك بالوطن مهما كلّف الإنسان من مصاعب، فلا بديل للوطن الأم.

